

فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ

جمعها

مسير ماطر الظفيري

الطبعة الأولى

١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م



الحمد لله العلي الأعلى، الولي
المولى، الذي خلق فأحيى، وحكم على
خلقه بالموت، والفناء، والبعث في دار
الجزاء، والفصل والقضاء، لتجزى كل
نفس بما تسعى، كما قال في كتابه ﷻ:

﴿ إِنَّهُ وَمَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ
فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۖ ﴾ (٧٤) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمَلَ
الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ۖ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ
عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ
جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ۖ ﴾ [طه: ٧٤ - ٧٦] [التذكرة للقرطبي
ص (١٠٩)] ، وبعد ، فإن : علم الله سابق^{١٨} ،

قد قَدَّرَ المقادير كلها ﷺ ، وعلم أهل الجنة وأهل النار ، في الحديث الصحيح من حديث عبدالله بن عمرو عند مسلم: «إِنَّ اللَّهَ قَدَّرَ مقادير الخلائق قبل أن يخلق السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، وعرشه على الماء ، ثم كتب في الذكر كُلَّ شَيْءٍ» ، وفي الأحاديث الصحيحة أنه قال للصحابة: «ما منكم من أحدٍ إلا وقد علم مقعده من الجنة ، ومقعده من النار» ، فقل: يا رسول الله ، ففيم العمل ؟ قال: «اعملوا ، فكلُّ مُيسَّرٍ لما خُلِقَ له ، أما أهل



السعادة فيُيسرون لعمل أهل السعادة ، وأما
 أهل الشقاوة فيُيسرون لعمل أهل الشقاوة ،
 ثم تلا قوله : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝ وَصَدَّقَ
 بِالْحُسْنَى ۝ ٦ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ۝ ٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ
 وَاسْتَغْنَى ۝ ٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۝ ٩ فَسَنِيَرُهُ
 لِلْعُسْرَى ۝ ﴾ [الليل : ٥ - ١٠] ، وهذا في
 الصحيحين من حديث عليّ .

فالمقصود أن مقادير الخلائق
 معلومة ، قد سبق في علم الله ما يقع من
 المخلوقين ، ولكنه سبحانه لا يُعذبهم
 بعلمه فيهم ، بل أعطاهم العقول ، وأعطاهم

الإمكانات: السمع والبصر واليد والرجل ،
وأرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، وأمرهم
ونهاهم ، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ
مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ
لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨] ، وقال: ﴿ءَامِنُوا
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا﴾ [الحديد: ٧] ، وقال:
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ [النساء: ١] ، فهم
مأمورون منهيون ، ولهم عقول يعرفون
الشر من الخير . [من موقع الشيخ / ابن باز رحمته الله ،
فتاوى الدروس: كيف يكون الإنسان مُخَيَّرًا مع علم الله
السابق ؟ بتصرف] .



قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

وهذا شامل للمخلوقات والعوالم العلوية والسفلية، أن الله تعالى وحده خلقها لا خالق لها سواه، ولا مشارك له في خلقها، وخلقها بقضاء سبق به علمه، وجرى به قلمه، بوقتها ومقدارها، وجميع ما اشتملت عليه من الأوصاف، وذلك على الله يسير. [تيسير الكريم الرحمن للسعدي].

ولا بد من الإيمان بالقدر: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن عبدٌ حتى يؤمنَ بأربعٍ:

يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنِّي مُحَمَّدٌ رَسُولُ
 اللَّهِ بَعَثَنِي بِالْحَقِّ ، وَيُؤْمِنُ بِالْمَوْتِ ،
 وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَيُؤْمِنُ بِالْقَدْرِ»
 [رواه الترمذي وقال: صحيح].

فكل صغيرة وكبيرة تحدث فهي
 مقدرة: قال رسول الله ﷺ : «كُلُّ شَيْءٍ
 بِقَدَرٍ ، حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ ، أَوِ الْكَيْسِ
 وَالْعَجْزِ»
 [رواه مسلم].

الحياة والموت ، والصحة والمرض ،
 والسعادة والشقاوة ، وغير ذلك ، فكله
 بتقدير العزيز العليم ﷻ ، فلا نتحسر



ولا نتضجر مما قدره الله تعالى: قال رسول الله ﷺ: «اسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنْ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ».

[رواه مسلم]

وفي حديث ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال له: «واعلم أن الأُمَّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلاّ بشيءٍ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلاّ بشيءٍ قد

كُتِبَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ
الصُّحُفُ» [رواه الترمذي وقال: صحيح].

فلا بد من التسليم بالقضاء والقدر
وأنه من عند الله **وَعَلَيْكُمْ**.

والرضى بالقضاء والقدر ، يشمل
الصبر على المصيبة والاحتساب ، قال ابن
القيم **رحمته** : والإيمان نصفان: نصف صبر
ونصف شكر . [عدة الصابرين ، ص: (٩٣)] ، إذا
لابد من الصبر على المصيبة ، لأن الصبر
على المصيبة قسم من أقسام الصبر ، قال
ابن القيم **رحمته** : فالصبر الواجب ثلاثة أنواع:



أحدها: الصبر عن المحرمات ، والثاني:
الصبر على أداء الواجبات ، والثالث:
الصبر على المصائب التي لا صنع للعبد
فيها ، كالأمراض والفقر وغيرها .

[عدة الصابرين ، ص : (٢٦)] .

وقال ﷺ مبينا المقامات الأربع لمن
يصاب بمصيبة لا حيلة له في دفعها كموت
من يعز عليه وسرقة ماله ومرضه ونحو
ذلك :

أحدها: مقام العجز وهو مقام الجزع
والشكوى والسخط ، وهذا ما لا يفعله إلا

أقل الناس عقلا ودينا ومروءة وهو أعظم المصيبتين .

المقام الثاني: مقام الصبر إما لله وإما للمروءة الإنسانية .

المقام الثالث: مقام الرضا وهو أعلى من مقام الصبر ، وفي وجوبه نزاع ، والصبر متفق على وجوبه .

المقام الرابع: مقام الشكر وهو أعلى من مقام الرضا فإنه يشهد البلية نعمة فيشكر المبتلي عليها .

[عدة الصابرين ، ص: (٥٧ - ٥٨)] .



وقال **ﷺ**: لا بد من الابتلاء بما يؤذي الناس ، فلا خلاص لأحد مما يؤذيه البتة ، ولهذا ذكر الله تعالى في غير موضع أنه لا بد أن يبتلي الناس ، والابتلاء يكون بالسراء والضراء ، ولا بد أن يبتلى الإنسان بما يسره وما يسوؤه ، فهو محتاج إلى أن يكون صابرا شكورا . [الفوائد، ص: (٢٧١)] .

وقد مدح الله تعالى الصابر عند المصيبة والمحتسب ، فقال تعالى: ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ** ١٥٥ **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ** ١٥٥ **الَّذِينَ**

إِذَا أَصَبْتَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
رَاجِعُونَ ﴿البقرة: ١٥٥ - ١٥٦﴾.

و ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ كلمة
استرجاع ، بخلاف كلمة (لا حول ولا قوة
إلا بالله) فإنها كلمة استعانة ، وهو ما
يخلط بينهما بعض الناس ، فعند المصيبة
يقال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ .

لقد جعل الله هذه الكلمة كلمة
الاسترجاع وهي قول المصاب: ﴿إِنَّا لِلَّهِ
وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ملجأً وملاذاً لذوي



المصائب ، وعِصْمَةٌ لِلْمُتَحَنِّينَ ، فإذا لَجَأَ
المصابُ إلى هذه الكلمة الجامعة لمعاني
الخير والبركة سكن قلبه ، واطمأنت
نفسه ، وهدأ باله ، وعَوَّضَهُ اللهُ في مصيبته
خيرًا... وَمَنْ يتأمل هذه الكلمة العظيمة
كلمة الاسترجاع ، يجدُ أَنَّهَا مشتملةٌ على
علاج عظيم لذوي المصائب ، بل فيها لهم
أبلغ علاج وأنفعه في الحال والمآل ، وكم
لهذه الكلمة من الآثار الحميدة والعواقبِ
الرشيدة والنتائج العظيمة في الدنيا
والآخرة ، ويكفي في هذا قول الله تعالى:

﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧] ،
لكن مع قولها لا بدَّ من فهم مدلولها
وتحقيق مقصودها ؛ ليحظى العبدُ بهذا
الموعود الكريم والثواب العظيم ، وقد
تضمَّنت هذه الكلمة أصليين عظيمين ، إذا
حقَّقهما العبدُ علماً وعملاً تَسَلَّى عن
مصيبته ، ونال عظيمَ الثواب وجميلَ المآب .

❦ **أَمَّا الْأَصْلُ الْأَوَّلُ :** فهو أن يتحقَّق
العبدُ أَنَّ نَفْسَهُ وَأَهْلَهُ وَمَالَهُ وَوَلَدَهُ مِلْكٌ لِلَّهِ
وَعَلَيْهِ ، فهو الذي أَوْجَدَهُم من العدم ،



وَيَتَصَرَّفُ فِيهِمْ بِمَا شَاءَ ، وَيَحْكُمُ فِيهِمْ بِمَا
يُرِيدُ ، لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ ، وَلَا رَادَّ لِقَضَائِهِ ،
وَهَذَا مُسْتَفَادٌ مِنْ قَوْلِهِ (إِنَّا لِلَّهِ) أَيُ : نَحْنُ
مَمَالِكُ لَهُ ، وَتَحْتَ تَصَرُّفِهِ وَتَدْبِيرِهِ ، هُوَ
رَبُّنَا وَنَحْنُ عَبِيدُهُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ وَاقِعٌ عَلَيْنَا
فَبِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ ، ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي
الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ
أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾
[الحديد: ٢٢] .

*** والأصل الثاني:** أن يعلم العبد أن

مَصِيرَهُ وَمَرْجَعَهُ إِلَى اللَّهِ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أَلْمُنْتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢] ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ [العلق: ٨] ، فلا بدَّ للعبد أن يخلف الدنيا وراء ظهره ، ويأتي ربّه يوم القيامة فرداً كما خلقه أوّل مرّة ، بلا أهل ولا مال ولا عشيرة ، وإنّما يأتيه بالحسنات والسيّئات ، وهذا مستفاد من قوله: ﴿وَأِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ، وهو إقرار من العبد بأنّه راجع إلى الله ، وأنّه سبحانه سيُجازيه على ما قدّم في هذه الحياة ، وعندئذ يتّجه إلى شغل نفسه بما ينفعه عند لقاء الله ، فإذا قالها المصابُ على هذا



الوصف مستحضراً لمعناها محققاً لمدلوها
ومقتضاها هُدي إلى صراط مستقيم .

روى أبو نعيم في الحلية عن الحسن
ابن علي العابد قال: قال الفضيل بن
عياض لرجل: كم أتت عليك؟ قال: ستون
سنة، قال: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى
ربك توشك أن تبلغ، فقال الرجل: يا أبا
علي، إنا لله وإنا إليه راجعون، قال له
الفضيل: تعلم ما تقول؟ فقال الرجل:
قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، قال
الفضيل: تعلم ما تفسيره؟ قال الرجل:

فسره لنا يا أبا علي ، قال : قولك إنا لله :
تقول : أنا لله عبد وأنا إلى الله راجع ، فمن
علم أنه عبد الله وأنه إليه راجع ، فليعلم بأنه
موقوف ، ومن علم بأنه موقوف فليعلم بأنه
مسؤول ، ومن علم أنه مسؤول ، فليعد
للسؤال جواباً ، فقال الرجل : فما الحيلة ؟
قال : يسيرة ، قال : ما هي ؟ قال : تحسن
فيما بقي ، يغفر لك ما مضى ، فإنك إن
أسأت فيما بقي أخذت بما مضى وما بقي .

[فقه الأدعية والأذكار للشيخ عبد الرزاق البدر : القسمان



قال ابن القيم رحمه الله شارحا لكلمة
 (لا حول ولا قوة إلا بالله): لا حول ولا قوة
 إلا بالله فهو الذي بيده الحول كله والقوة
 كلها ، فالحول والقوة التي يُرجى لأجلهما
 المخلوق ويُخاف إنما هما لله وبيده في
 الحقيقة ، فكيف يُخاف ويُرجى من لا
 حول له ولا قوة ، بل خوف المخلوق
 ورجاؤه أحد أسباب الحرمان ونزول
 المكروه بمن يرجوه ويخافه ، فإنه على قدر
 خوفك من غير الله يُسلط عليك ، وعلى قدر
 رجائك لغيره يكون الحرمان ، وهذا حال

الخلق أجمعه وإن ذهب عن أكثرهم علما
وحالاً ، فما شاء الله كان ولا بد ، وما لم
يشأ لم يكن ولو اتفقت عليه الخليقة .
[الفوائد ، ص : (٦٩)] .

ومن هنا يتبين لنا الفرق بين
الكلمتين : (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)
و(لا حول ولا قوة إلا بالله) .

ما جزاء المسترجعين القائلين : ﴿إِنَّا
لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ على صبرهم
واحسابهم يا رب ؟ قال تعالى :

﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ



وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٧].

قال ابن كثير رحمه الله: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أي: ثناء من الله عليهم ورحمة.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: نعم العدلان ونعمت العلاوة. قال ابن كثير رحمه الله: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ فهذان العدلان ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ فهذه العلاوة.

[تفسير القرآن العظيم].

والموت مصيبة كما سماه الله تعالى
 فقال: ﴿إِنَّ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَبْتَكُمْ
 مُّصِيبَةً أَلْمَوْتِ﴾ [المائدة: ١٠٦] ، وعلى
 المسلم أن يسلم بأن كل نفس ستموت
 مصداقا لقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ
 أَلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] .

فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهم
 أشرف الخلق وأكرمهم على الله تعالى ،
 قضى عليهم بالموت ، عن أبي هريرة رضي الله عنه
 قال: «أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عليه السلام ،
 فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ ، فَقَالَ:



أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ : ارْجِعْ ، فَقُلْ لَهُ : يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَنْ ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ ، قَالَ : أَيُّ رَبِّ ، ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : ثُمَّ الْمَوْتُ ، قَالَ : فَالآنَ ، فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَةً بِحَجَرٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « فُلُو كُنْتُ ثُمَّ لَا أَرِيْتُكُمْ قَبْرَهُ ، إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ ، عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ » .

[متفق عليه] .

أرسل الله ملك الموت إلى موسى عليه السلام

في صورة رجل ، وطلب منه أن يجيب ربه ،
وكان ذلك إيذانا بأن أجله قد حضر ، وأن
ساعته قد دنت ، وكان في موسى عليه السلام حدة ،
فما كان منه إلا أن لطم وجهه ملك الموت
ففقأ عينه ، أي عينه البشرية التي تمثل بها ،
وإلا فلو كان في صورته الملائكية لما
استطاع موسى لطمه ، وما قدر عليه .

ورجع ملك الموت إلى ربه يشكو إليه
ما أصابه من موسى عليه السلام ، فرد عليه الله
تلك العين ، وأمره أن يعود إلى موسى
ويطلب منه أن يضع يده على ظهر ثور ، ثم



يعد الشعرات التي غطتها يده ، فيكون له بكل شعرة من تلك الشعرات سنة ، ويكون أجله من السنوات بعدد تلك الشعرات ، وبذلك ينال حياة مديدة ، ولو فعل موسى ذلك فمن الراجح أن يكون لا زال حيا باقيا إلى اليوم .

ولكن موسى عندما استعلم من ملك الموت عما وراء تلك الحياة المديدة قال له: الموت ، فاختره من قريب . فما عند الله لرسله وأنبيائه والصالحين من عباده خير وأبقى .

وقد طلب من ربه عند قبض روحه أن
يدنيه من الأرض المقدسة حتى يكون منها
رمية بحجر .

وطلب موسى هذا يمثل ما يعتمل في
كيانه من محبة للأرض المباركة ، حتى إنه
ليطلب أن يدفن على حدودها ، قريبا منها ،
ولم يطلب من ربه أن يميته فيها ، لأنه يعلم
أن الله حرمها على الجيل الذي منه موسى
عقابا لهم على عدم طاعتهم لربهم عندما
أمرهم بدخولهم الأرض المقدسة التي
كتب الله لهم فقالوا: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ



فَقَتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ ﴿ [المائدة: ٢٤] ،
وكتب عليهم التيه في صحراء سيناء أربعين
سنة .

واستجاب الله دعاء موسى ، وقد
أخبرنا رسولنا ﷺ أن قبر موسى هناك على
مشارف الأرض المباركة عند الكثيب
الأحمر ، وأنه لو كان هناك لأراه الصحابة .
[صحيح القصص النبوي لعمر الأشقر ، ص : (٩٩) -
(١٠٠)] .

ومحمد ﷺ مات ، ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا
رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ

أَوْ قُتِلَ أُنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ
عَقْبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ
الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ [آل عمران: ١٤٤] وأكبر مصيبة
تمر على المسلم والمسلمة هي: موت
النبي ﷺ: قال ﷺ: «إِذَا أَصِيبَ أَحَدُكُمْ
بِمَصِيبَةٍ فَلْيَذْكُرْ مَصِيبَتَهُ بِي فَإِنَّهَا أَعْظَمُ
الْمَصَائِبِ» .

[رواه الدارمي في سننه ، والطبراني في الكبير
وغيرهما ، قال الشيخ حسين أسد: إسناده صحيح ، وهو
مرسل . وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير] .

أبو بكر رضي الله عنه كان يقول: اذكروا فقد



نبيكم تهون عندكم مصيبتكم .

[ذكره ابن عبد البر في التمهيد] .

والموت هادم اللذات ، قال صلى الله عليه وسلم :

«أكثرُوا ذَكَرَ هَاذِمِ اللذَاتِ» [رواه الترمذي

وقال: حسن صحيح] ، أي: قاطع الشهوات

العاجلة ، ومفرق الجماعات ، يفرق المرء

عن أبيه وأمه وزوجته وأولاده ، وأقاربه

وأصحابه ، يأتون بإبراهيم عليه السلام ابن النبي

صلى الله عليه وسلم وهو في ساعة الاحتضار وروحه تخرج

بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقبله ويشمه

وتذرفان عينيه ، فيقول له عبد الرحمن بن

عوف رضي الله عنه : وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ :
 « يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ » ، ثُمَّ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ
 مَرَّةً أُخْرَى ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ ،
 وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى
 رَبُّنَا ، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ
 لَمَحْزُونُونَ » . [رواه البخاري] .

هذا هو الهدي النبوي في الحزن ،
 وأما الصياح والصراخ فلا ، لذا تبرأ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 ممن يرفع صوته بالبكاء وهو ما يسمى
 بالنياحة ، يقول أبو موسى الأشعري رضي الله عنه :
 أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ بَرِيءٌ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِنَّ



رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: بَرِيءٌ مِنَ الصَّالِقَةِ وَالْحَالِقَةِ
وَالشَّاقَّةِ. [متفق عليه] ، والصالقة: هي التي
ترفع صوتها بالبكاء ، والحالقة: التي تحلق
شعرها عند المصيبة ، والشاقة: التي تشق
ثيابها عند المصيبة ، ويقول: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ
لَطَمَ الْخُدُودَ ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ ، وَدَعَا بِدَعْوَى
الْجَاهِلِيَّةِ». [متفق عليه] ، ويحذرنا ﷺ بقوله:
«الْمَيِّتُ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ». [متفق
عليه] ، قال ابن القيم رحمه الله: فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ
يَقُلْ: أَنَّ الْمَيِّتَ يَعْقَبُ بِبَكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ
وَنُوحِهِمْ ، وَإِنَّمَا قَالَ: إِنَّهُ يُعَذَّبُ بِذَلِكَ .

ولا ريب أن ذلك يؤلمه ويعذبه ،
والعذاب هو الألم الذي يحصل له ، وهو
أعم من العقاب ، والأعم لا يستلزم
الأخص ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : «السفر قطعة من
العذاب» وهذا العذاب يحصل للمؤمن
والكافر ، حتى أن الميت ليتألم بمن
يعاقب في قبره في جواره ، ويتأذى بذلك
كما يتأذى الإنسان في الدنيا بما يشاهده
من عقوبة جاره .

فإذا بكى أهل الميت عليه البكاء
المحرم ، وهو البكاء الذي كان أهل
الجاهلية يفعلونه ، والبكاء على الميت



عندهم اسم لذلك وهو معروف في نظمهم ونثرهم ، تألم الميت بذلك في قبره ، فهذا التألم هو عذابه بالبكاء عليه .

[عدة الصابرين ، ص : (٩٢)] .

قصة يرويها لنا محمد بن كعب القرظي رحمه الله فيقول : إنه كان في بني إسرائيل رجل فقيه عالم عابد مجتهد ، وكانت له امرأة ، وكان بها معجباً ولها محباً ، فماتت ، فوجد عليها وجداً شديداً ، ولقي عليها أسفاً ، حتى خلا في بيت ، وغلق على نفسه ، واحتجب من الناس ، فلم يكن يدخل عليه أحد ، وإن امرأة

سمعت به فجاءته ، فقالت : إن لي إليه
حاجة أستفتيه فيها ليس يجزيني فيها إلا
مشافهته ، فذهب الناس ولزمت بابه ،
وقالت : ما لي منه بد ، فقال له قائل : إن ها
هنا امرأة أرادت أن تستفتيك ، وقالت : إن
أردت إلا مشافهته ، وقد ذهب الناس وهي
لا تفارق الباب ، فقال : ائذنوا لها ، دخلت
عليه ، فقالت : إني جئتُك أستفتيك في
أمر ، قال : وما هو ؟ قالت : إني استعرت
من جارة لي حلياً ، فكنت ألبسه وأعيـره
زماناً ، ثم إنهم أرسلوا إلي فيه أفأؤديه
إليهم ؟ فقال : نعم والله ، فقالت : إنه قد



مكث عندي زماناً؟ فقال: ذلك أحق لردك إياه إليهم حين أعاروكيه زماناً، فقالت: أي يرحمك الله، أفأتأسف على ما أعارك الله، ثم أخذه منك وهو أحق به منك؟! فأبصر ما كان فيه ونفعه الله بقولها.

[رواه مالك في موطئه برقم: ٤٣].

ولابد كذلك أن نسلم أن كل نفس لن تموت وتذهب من هذه الدنيا إلا وقد استكملت أجلها واستوفت جميع رزقها:

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفْسٌ فِي رُوعِي، أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى

تستكمل أجلها ، وتستوعب رزقها ، فاتَّقوا
اللهَ ، وأَجْمِلُوا في الطَّلَبِ ، ولا يَحْمِلَنَّ
أحدكم استبطاءَ الرِّزْقِ أن يطلبه بمَعْصِيَةِ
اللهِ ، فَإِنَّ اللهَ تعالى لا يُنَالُ ما عنده إِلَّا
بِطَاعَتِهِ» [صحيح الجامع (٢٠٨٥)] .

يقول ابن القيم رحمه الله : الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ
وَنَعِيمُهَا وَلذَاتُهَا إِنَّمَا يَنَالُ بِتَقْوَى اللهِ وَرَاحَةِ
الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ وَتَرْكِ الْإِهْتِمَامِ وَالْحَرَصِ
الشَّدِيدِ وَالتَّعَبِ وَالْعَنَادِ وَالْكَدِ وَالشَّقَاءِ فِي
طَلَبِ الدُّنْيَا إِنَّمَا يَنَالُ بِالْإِجْمَالِ فِي الطَّلَبِ
فَمَنْ اتَّقَى اللهَ فَازَ بِلَذَةِ الْآخِرَةِ وَنَعِيمِهَا وَمَنْ



أَجْمَلُ فِي الطَّلَبِ اسْتِرَاحَ مِنْ نَكْدِ الدُّنْيَا
وَهُمُومُهَا فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

قَدْ نَادَتِ الدُّنْيَا عَلَى نَفْسِهَا
لَوْ كَانَ فِي ذَا الْخَلْقِ مَنْ يَسْمَعُ
كَمْ وَاثِقٌ بِالْعِيشِ أَهْلَكَتَهُ
وَجَامِعٌ فَرَقَتْ مَا يَجْمَعُ
[الفوائد ، ص : (٧٧)]

قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ :
اللَّهُمَّ أَمْتَعْنِي بِزَوْجِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ،
وَبَأَبِي أَبِي سَفْيَانَ ، وَبَأَخِي مُعَاوِيَةَ قَالَ :
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « قَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ لِأَجَالِ

مضروبة ، وأيام معدودة ، وأرزاق مقسومة ، لن يعجل شيئاً قبل حله ، أو يؤخر شيئاً عن حله ، ولو كنت سألت الله أن يعيدك من عذاب في النار ، أو عذاب في القبر ، كان خيراً وأفضل» [رواه مسلم] .

وعن جابر رضي الله عنه ؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
«لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ فَرَّ مِنْ رِزْقِهِ كَمَا يَفِرُّ مِنَ الْمَوْتِ ، لَأَذْرَكَهُ رِزْقُهُ كَمَا يُذْرِكُهُ الْمَوْتُ» .
[حلية الأولياء لأبي نعيم : (٩٠/٧) ، وصححه الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة : (٦٧٢/١) ، برقم : (٧٥٢)] .



الرزق مكتوب والأجل معلوم مكتوب
 قبل أن يولد الإنسان ، فلا يخاف المسلم
 من نقص رزقه أو قلة أجله ، وأرواحنا
 وأجسادنا ملك لله تعالى متى ما أراد سبحانه
 أعادها إليه بعد أن وهبنا إياها ، فلماذا
 التسخط على شيء لا نملكه ؟!

قال ابن القيم رحمه الله : فرغ خاطرك اللهم
 بما أمرت به وَلَا تشغله بما ضمن لك فإن
 الرزق والأجل قرينان مضمونان فما دام
 الأجل باقيا كَانَ الرزق آتيا وإذا سد عليك
 بحكمته طريقا من طرقه فتح لك برحمته

طَرِيقًا أَنْفَعَ لَكَ مِنْهُ فَتَأَمَّلْ حَالَ الْجَنِينِ يَأْتِيهِ
غِذَاؤُهُ وَهُوَ الدَّمُّ مِنْ طَرِيقٍ وَاحِدَةٍ وَهُوَ
السُّرَّةُ فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ بَطْنِ الْأُمِّ وَانْقَطَعَتْ
تِلْكَ الطَّرِيقُ فَتَحَ لَهُ طَرِيقَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَجْرَى
لَهُ فِيهِمَا رِزْقًا أَطِيبَ وَأَلَذَّ مِنَ الْأَوَّلِ لَبَنًا
خَالِصًا سَائِغًا فَإِذَا تَمَّتْ مُدَّةُ الرِّضَاعِ
وَانْقَطَعَتْ الطَّرِيقَانِ بِالْفِطَامِ فَتَحَ طَرَقًا أَرْبَعَةً
أَكْمَلَ مِنْهَا طَعَامَانِ وَشَرَابَانِ فَالطَّعَامَانِ مِنَ
الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ وَالشَّرَابَانِ مِنَ الْمِيَاهِ
وَالْأَلْبَانِ وَمَا يُضَافُ إِلَيْهِمَا مِنَ الْمَنَافِعِ
وَالْمَلَاذِ فَإِذَا مَاتَ انْقَطَعَتْ عَنْهُ هَذِهِ الطَّرِيقُ



الْأَرْبَعَةَ لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ فَتَحَ لَهُ إِنْ كَانَ سَعِيدًا
طَرَقًا ثَمَانِيَةً وَهِيَ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ
يَدْخُلُ مِنْ أَيَّهَا شَاءَ فَهَكَذَا الرَّبُّ سُبْحَانَهُ لَا
يَمْنَعُ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنُ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا
وَيُؤْتِيهِ أَفْضَلَ مِنْهُ وَأَنْفَعَ لَهُ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِمَنْ
الْمُؤْمِنُ فَإِنَّهُ يَمْنَعُهُ الْحَظُّ الْأَدْنَى الْخَسِيسَ
وَلَا يَرْضَى لَهُ بِهِ لِيُعْطِيَهُ الْحَظُّ الْأَعْلَى
النَّفِيسَ وَالْعَبْدَ لَجْهَلِهِ بِمَصَالِحِ نَفْسِهِ وَجْهَلِهِ
بِكَرَمِ رَبِّهِ وَحِكْمَتِهِ وَلَطْفِهِ لَا يَعْرِفُ التَّفَاوُتَ
بَيْنَ مَا مَنَعَ مِنْهُ وَبَيْنَ مَا ذَخَرَ لَهُ بَلْ هُوَ مُوَلِّعٌ
بِحُبِّ الْعَاجِلِ وَإِنْ كَانَ دُنْيَاً وَبِقِلَّةِ الرَّغْبَةِ

فِي الْآجَلِ وَإِنْ كَانَ عَلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفَ الْعَبْدُ
 رَبَّهُ وَأَنْتَى لَهُ بِذَلِكَ لَعَلَّمْنَا أَنْ فَضَّلَهُ عَلَيْهِ فِيمَا
 مَنَعَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَلِذَاتِهَا وَنَعِيمِهَا أَعْظَمَ مِنْ
 فَضْلِهِ عَلَيْهِ فِيمَا آتَاهُ مِنْ ذَلِكَ فَمَا مَنَعَهُ إِلَّا
 لِيُعْطِيَهُ وَلَا ابْتِلَاةَ إِلَّا لِيَعَافِيَهُ وَلَا امْتَحَنَهُ
 إِلَّا لِيَصَافِيَهُ وَلَا أَمَاتَهُ إِلَّا لِيَحْيِيَهُ وَلَا أَخْرَجَهُ
 إِلَى هَذِهِ الدَّارِ إِلَّا لِيَتَأَهَّبَ مِنْهَا لِلْقُدُومِ عَلَيْهِ
 وَلِيَسْلِكَ الطَّرِيقَ الْمَوْصِلَةَ إِلَيْهِ فَجَعَلَ اللَّيْلَ
 وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ
 شُكُورًا وَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا وَاللَّهُ
 الْمُسْتَعَانُ . [الفوائد ، ص: (٧٥)] .



قال أبو العتاهية:

هُوَ الْمَوْتُ فَاصْنَعْ كُلَّمَا أَنْتَ صَانِعٌ

وَأَنْتَ لِكَأْسِ الْمَوْتِ لَا بُدَّ جَارِعٌ

أَلَا أَيُّهَا الْمَرْءُ الْمُخَادِعُ نَفْسَهُ

رُؤَيْدًا أَتَدْرِي مَنْ أَرَاكَ تُخَادِعُ

وَيَا جَامِعَ الدُّنْيَا لِغَيْرِ بِلَاغِهِ

سَتَرُكُهَا فَانْظُرْ لِمَنْ أَنْتَ جَامِعٌ

فَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا الْجَامِعِينَ قَدْ إِصْبَحَتْ

لَهُمْ بَيْنَ أَطْبَاقِ الثُّرَابِ مَضَاجِعُ

لَوْ أَنَّ ذَوِي الْأَبْصَارِ يَرْعُونَ كُلُّ مَا
يَرُونَ لَمَا جَفَّتْ لِعَيْنٍ مَدَامِعُ
طَغَى النَّاسُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
فَقَدْ دَرَسَتْ بَعْدَ النَّبِيِّ الشَّرَائِعُ
وَصَارَتْ بُطُونُ الْمُرْمَلَاتِ خَمِيصَةً
وَأَيَّامُهُمْ مِنْهُمْ طَرِيدٌ وَجَائِعُ
وَإِنَّ بُطُونَ الْمُكْثِرَاتِ كَأَنَّمَا
تُنْقِنُقُ فِي أَجْوَاهِنَ الضَّفَادِعُ
فَمَا يَعْرِفُ الْعَطْشَانُ مَنْ طَالَ رِيُّهُ
وَمَا يَعْرِفُ الشَّبْعَانُ مَنْ هُوَ جَائِعُ



وَتَصْرِيفُ هَذَا الْخَلْقِ لِلَّهِ وَحْدَهُ
وَكُلُّهُ إِلَى اللَّهِ لَا مَحَالَةَ رَاجِعُ
وَلِلَّهِ فِي الدُّنْيَا أَعَاجِبُ جَمَّةٌ
تَدُلُّ عَلَى تَدْبِيرِهِ وَبَدَائِعُ
وَلِلَّهِ أَسْرَارُ الْأُمُورِ وَإِنْ جَرَتْ
بِهَا ظَاهِرًا بَيْنَ الْعِبَادِ الْمَنَافِعُ
وَلِلَّهِ أَحْكَامُ الْقَضَاءِ بِعِلْمِهِ
أَلَا فَهُوَ مُعْطٍ مَنْ يَشَاءُ وَمَانِعُ
إِذَا ضَنَّ مَنْ تَرَجَّوْا عَلَيْكَ بِنَفْعِهِ
فَذَرُّهُ فَإِنَّ الرِّزْقَ فِي الْأَرْضِ وَاسِعُ

وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَوَاهُ وَهَمَّهُ
 سَبَبَهُ الْمُنَى وَاسْتَعْبَدَتْهُ الْمَطَامِعُ
 وَمَنْ عَقَلَ اسْتَحْيَا وَأَكْرَمَ نَفْسَهُ
 وَمَنْ قَنَعَ اسْتَغْنَى فَهَلْ أَنْتَ قَانِعٌ
 لِكُلِّ امْرِئٍ رَأْيَانٍ رَأْيٍ يَكْفِيهِ
 عَنِ الشَّيْءِ أَحْيَاناً وَرَأْيٍ يُنَازِعُ
 [ديوان أبي العتاهية ص ٢٥٤ - ٢٥٥].

ومن آمن بالموت فلا بد أن يؤمن بأن
 القبر هو أول منازل الآخرة: عن عثمان
 رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ القبر



أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه
فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما
بعده أشد منه، ما رأيت منظرًا قط إلا القبر
أفزع منه» [رواه الترمذي].

ولما كان ما بعد القبر أيسر منه لمن
نجا فإن العبد المؤمن إذا رأى في قبره ما
أعد الله له من نعيم يقول: «رب عجل قيام
الساعة، كيما أرجع إلى أهلي ومالي»
[رواه أبوداود]، والعبد الكافر الفاجر إذا
رأى ما أعد الله له من العذاب الشديد فإنه
يقول على الرغم مما هو فيه من عذاب:

«رب لا تقم الساعة» [رواه أبو داود] ، لأن
الآتي أشدُّ وأفزع .

وللقبر ضغطة: ففي (سنن النسائي)
عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال: قال رسول الله
ﷺ: «هذا الذي تحرك له العرش ،
وفتحت له أبواب السماء ، وشهده سبعون
ألفاً من الملائكة ، لقد ضم ضمة ، ثم فرج
عنه» . وفي (مسند الإمام أحمد) عن ابن
عمر أيضاً أن الرسول ﷺ قال: «إن للقبر
ضغطة لو كان أحد ناجياً منها نجا سعد بن
معاذ» .



وعن أنس رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:
 «لو أفلت أحد من ضمة القبر لنجا هذا
 الصبي».

[رواه الطبراني في الكبير].

أما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فلا
 تشملهم هذه الضمة والله أعلم.

فتنة القبر هي آخر فتنة تمر على العبد:
 عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم
 أنه قال: «فيأتيه ملكان شديدا الانتهاز
 فينتهرانه، ويجلسانه، فيقولان له: من
 ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ وهي آخر فتنة

تعرض على المؤمن ، فذلك حين يقول الله
 ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ
 فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [إبراهيم: ٢٧] ، فيقول:
 ربي الله ، وديني الإسلام ، ونبيي محمد
 ﷺ ، فينادي مناد من السماء: أن صدق
 عبدي ، وقال في العبد الكافر أو الفاجر:
 ويأتيه ملكان شديدا الانتهاز ، فينتهرانه ،
 ويجلسانه ، فيقولان له: من ربك؟ فيقول:
 هاه ، هاه لا أدري ، فيقولان له: ما دينك؟
 فيقول: هاه ، هاه لا أدري ، فيقولان: فما
 تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فلا



يهتدي لاسمه ، فيقال : محمد ، فيقول :
 هاه ، هاه لا أدري ، سمعت الناس يقولون
 ذاك ، قال : فيقولان : لا دريت ولا تلوت
 فينادي منادي أن كذب عبدي» [رواه أبوداود] .

بشارة المؤمن في قبره : «فينادي منادٍ
 منَ السَّمَاءِ : أنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي ، فَأَفْرِشُوهُ
 منَ الْجَنَّةِ ، وافتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ ،
 وأَلْبِسُوهُ منَ الْجَنَّةِ قَالَ : فيأتيهِ من رَوْحِهَا
 وطيبها قَالَ : وَيُفْتَحُ لَهُ فِيهَا مَدَّ بَصَرِهِ» .

[رواه أبوداود] .

وبعد علمنا بهذا فإن العبد المصاب
يحتاج إلى ما يعينه على الصبر والاحتساب
عند الشدائد ومن ذلك:

تحقيق التوحيد: قال ابن القيم رحمته الله:
التَّوْحِيدُ مَفْزَعُ أَعْدَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ فَأَمَّا أَعْدَاؤُهُ
فَيُنْجِيهِمْ مِنْ كَرْبِ الدُّنْيَا وَشِدَائِهَا ﴿فَإِذَا
رَكَبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ
فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ وَأَمَّا
أَوْلِيَاؤُهُ فَيُنْجِيهِمْ بِهِ مِنْ كُرْبَاتِ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَشِدَائِهَا وَلِذَلِكَ فُزِعَ إِلَيْهِ يُونُسُ
فَنَجَّاهُ اللَّهُ مِنْ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ وَفُزِعَ إِلَيْهِ أَتْبَاعُ



الرُّسُلَ فَنجُوا بِهِ مِمَّا عَذَبَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ
 فِي الدُّنْيَا وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَمَّا فَزَعَ
 إِلَيْهِ فِرْعَوْنُ عِنْدَ مُعَايِنَةِ الْهَلَاكِ وَإِذْرَاكِ
 الْغَرَقِ لَهُ لَمْ يَنْفَعْهُ لِأَنَّهُ الْإِيمَانَ عِنْدَ الْمَعَايِنَةِ
 لَا يَقْبَلُ هَذِهِ سُنَّةَ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ فَمَا دَفَعَتْ
 شِدَائِدَ الدُّنْيَا بِمِثْلِ التَّوْحِيدِ وَلِذَلِكَ كَانَ
 دُعَاءُ الْكَرْبِ بِالتَّوْحِيدِ وَدَعْوَةُ ذِي النُّونِ
 الَّتِي مَا دَعَا بِهَا مَكْرُوبٌ إِلَّا فَرَّجَ اللَّهُ كَرْبَهُ
 بِالتَّوْحِيدِ فَلَا يُلْقَى فِي الْكَرْبِ الْعِظَامُ إِلَّا
 الشَّرْكَ وَلَا يُنْجَى مِنْهَا إِلَّا التَّوْحِيدُ فَهُوَ
 مَفْزَعُ الْخَلِيقَةِ وَمَلْجَأُهَا وَحَصْنُهَا وَغِيَاثُهَا .

[الفوائد ، ص : (٦٩ - ٧٠)] .

تقوى الله **وَعَلَيْكَ** : ودّع ابن عون رجلاً
فَقَالَ عَلَيْكَ بتقوى الله فَإِنَّ المتقَى لَيْسَتْ
عَلَيْهِ وَحْشَةٌ . [الفوائد ، ص : (٧١)] .

التَّوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى : قال ابن القيم
رَحِمَهُ اللَّهُ : التَّوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ نَوْعَانِ أَحَدُهُمَا تَوَكَّلْ
عَلَيْهِ فِي جَلْبِ حَوَائِجِ الْعَبْدِ وَحِظْوَةِ
الدُّنْيَوِيَّةِ أَوْ دَفْعِ مَكْرُوهُاتِهِ وَمَصَائِبِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ
وَالثَّانِي التَّوَكَّلْ عَلَيْهِ فِي حُصُولِ مَا يُحِبُّهُ هُوَ
وَيَرْضَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ وَالْجِهَادِ
وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ وَبَيْنَ النَّوْعَيْنِ مِنَ الْفَضْلِ مَا
لَا يُخْصِيهِ إِلَّا اللَّهُ فَمَتَى تَوَكَّلْ عَلَيْهِ الْعَبْدُ



فِي النَّوعِ الثَّانِي حَقُّ تَوَكُّلِهِ كَفَاهُ النَّوعُ الْأَوَّلُ
تَمَامَ الْكِفَايَةِ وَمَتَى تَوَكَّلَ عَلَيْهِ فِي النَّوعِ
الْأَوَّلِ دُونَ الثَّانِي كَفَاهُ أَيْضًا لَكِنْ لَا يَكُونُ
لَهُ عَاقِبَةُ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ فِيمَا يُحِبُّهُ
وَيَرْضَاهُ... وَسِرُّ التَّوَكُّلِ وَحَقِيقَتُهُ هُوَ
اعْتِمَادُ الْقَلْبِ عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ فَلَا يَضُرُّهُ
مُبَاشَرَةُ الْأَسْبَابِ مَعَ خُلُوعِ الْقَلْبِ مِنْ
الْإِعْتِمَادِ عَلَيْهَا وَالرُّكُونِ إِلَيْهَا كَمَا لَا يَنْفَعُهُ
قَوْلُهُ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ مَعَ اعْتِمَادِهِ عَلَى غَيْرِهِ
وَرُكُونِهِ إِلَيْهِ وَثِقَتَهُ بِهِ فَتَوَكَّلِ اللِّسَانُ شَيْءً
وَتَوَكَّلِ الْقَلْبُ شَيْءً كَمَا أَنَّ تَوْبَةَ اللِّسَانِ مَعَ

إِضْرَارَ الْقَلْبِ شَيْءٌ وَتُوبَةُ الْقَلْبِ وَإِنْ لَمْ
يَنْطِقِ اللِّسَانُ شَيْءٌ فَقَوْلُ الْعَبْدِ تَوَكَّلْتُ عَلَى
اللَّهِ مَعَ اعْتِمَادِ قَلْبِهِ عَلَى غَيْرِهِ مِثْلُ قَوْلِهِ تَبَتَّ
إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مَصْرٌ عَلَى مَعْصِيَتِهِ مَرْتَكِبٌ
لَهَا . [الفوائد ، ص : (١١٢ - ١١٣)] .

الصلاة: قال المروزي رحمته الله : وَأَمَرَ اللَّهُ
عِبَادَهُ أَنْ يَفْزَعُوا إِلَى الصَّلَاةِ ، وَالِاسْتِعَانَةِ
بِالصَّلَاةِ عَلَى كُلِّ أَمْرِهِمْ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاهُمْ
وآخِرَتِهِمْ ، وَلَمْ يَخُصَّ بِالِاسْتِعَانَةِ بِهَا شَيْئًا
دُونَ شَيْءٍ ، فَقَالَ : ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ
وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة : ٤٥] ، وَإِنَّمَا بَدَأَ بِالصَّبْرِ



قَبْلَهَا لِأَنَّ الْإِيمَانَ وَجَمِيعَ الْفَرَائِضِ
وَالنَّوَافِلِ مِنَ الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا لَا تَتِمُّ إِلَّا
بِالصَّبْرِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَأَنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى
الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]، وَهُمْ الْمُنْكَسِرَةُ
قُلُوبُهُمْ إِجْلَالًا لِلَّهِ، وَرَهْبَةً مِنْهُ، فَشَهِدَ لِمَنْ
حَقَّتْ عَلَيْهِ أَنْ يُقِيمَهَا لَهُ، إِنَّهُ مِنْ
الْخَاشِعِينَ، وَكَيْفَ لَا يَفْزَعُ الْمُؤْمِنُونَ إِلَى
الصَّلَاةِ وَهِيَ عِمَادُ دِينِهِمْ، كَذَلِكَ أَخْبَرَ
النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الصَّلَاةَ عَمُودُ الدِّينِ.

[تعظيم قدر الصلاة للمروزي، ص: (١٣٢)].

قال ﷺ: وَمَا زَالَ مَفْزَعُ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ

كُلُّ مُهِمٍّ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَى مُنَاجَاةِ رَبِّهِمْ فِي الصَّلَاةِ حَتَّى آدَمَ فَمَنْ دُونَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ . [تعظيم قدر الصلاة، ص: (١٣٥)] .

قال: وَلَقَدْ ذَكَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى بِأَهْلِهِ شِدَّةً أَوْ ضِيقًا أَمَرَهُمْ بِالصَّلَاةِ، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ [طه: ١٣٢] ، وَأَمَرَ اللَّهُ عِبَادَهُ أَنْ يَأْتُمُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَمَرَهُمْ مُحَمَّدٌ إِذَا رَأَوْا الْآيَاتِ الَّتِي يَخَافُونَ فِيهَا الْعَذَابَ أَنْ يَفْزَعُوا إِلَى الصَّلَاةِ فَقَالَ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ



اللَّهِ ، فَإِذَا انْكَسَفَتْ فَأَفْزِعُوا إِلَى الصَّلَاةِ » ،
وَفَزِعَ هُوَ إِلَى الصَّلَاةِ ، وَلَا نَعْلَمُ طَاعَةً يَدْفَعُ
اللَّهُ بِهَا الْعَذَابَ مِثْلَ الصَّلَاةِ .

[تعظيم قدر الصلاة للمروزي ، ص : (١٤٠)] .

الدعاء : فِي الْمُسْنَدِ وَصَحِيحِ أَبِي

الْحَاتِمِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه
قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : « مَا أَصَابَ عَبْدًا
هَمٌّ وَلَا حُزْنٌ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ
عَبْدِكَ ابْنُ أُمْتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِي
حُكْمِكَ عَدْلٌ فِي قَضَائِكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ
هُوَ لَكَ سَمِيَتْ بِهِ نَفْسٌ أَوْ أُنْزِلَتْ فِي

كتابك أو علّمته أحدا من خلقك أو
استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل
القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء
حزني وذهاب همي وغمي إلا أذهب الله
همه وغمه وأبدله مكانه فرحا» قالوا:
يا رسول الله أفلا نتعلمهن؟ قال: «بلى
ينبغي لمن سمعن أن يتعلمهن».

وتعلمنا أمنا أم سلمة رضي الله عنها دعاء عظيما
لمن يصاب بمصيبة فتقول: سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من عبد تصيبه مصيبة
فيقول: (إنا لله وإنا إليه راجعون) اللهم



أجرني في مصيبي وأخلف لي خيرا منها ،
 إلا أجره الله من مصيبته ، وأخلف له خيرا
 منها» قالت: فلما توفي أبو سلمة قلت كما
 أمرني رسول الله ﷺ ، فأخلف الله لي
 خيرا منه: رسول الله ﷺ . [رواه مسلم] .

*** ما يجري على العبد بعد موته: قال**

السيوطي رحمه الله [الديباج شرح صحيح مسلم بن
 الحجاج: (٢٢٦/٤ - ٢٢٧):

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ

قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من
 ثلاث: صدقة جارية ، أو علم ينتفع به أو

ولد صالح يدعو له» . [رواه مسلم] .

«إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث»: أي فإن الثواب يجري له فيها .
صدقة جارية: قالوا: هي الوقف .

أو علم ينتفع به: قالوا: هي التعليم والتصنيف . وذكر القاضي تاج الدين السبكي أن التصنيف في ذلك أقوى لطول بقاءه على ممر الزمان .

أو ولد صالح يدعو له: في الطبراني في الأوسط (٧٨٣١/٨) من حديث أبي أمامة مرفوعا: «أربعة تجري عليهم أجورهم بعد



الموت: مرابط في سبيل الله ، ومن علم علما ، أو رجل تصدق بصدقة فأجرها له ما جرت ، ورجل ترك ولدا صالحا يدعو له» .

وللبزار (١٤٩/١) من حديث أنس مرفوعا: «سبع يجري للعبد أجرها بعد موته وهو في قبره: من علم علما ، أو أجرى نهرا ، أو حفر بئرا ، أو غرس نخلا ، أو بنى مسجدا ، أو ورث مصحفا ، أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته» .

ولابن ماجة (٢٤٢) وابن خزيمة (٢٤٩٠) من حديث أبي هريرة مرفوعا: «إن

مما يلحق المؤمن من حسناته بعد موته: علما نشره، أو ولدا صالحا تركه، أو مصحفا ورثه، أو مسجدا بناه، أو بيتا لابن السبيل بناه، أو نهرا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته تليحه بعد موته» .

ولابن عساكر في تاريخه من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعا: «من علم آية من كتاب الله أو بابا من علم، أنمى الله أجره إلى يوم القيامة» وقد تحصل من هذه الأحاديث أحد عشر أمرا وقد نظمتها وقلت:



إذا مات ابن آدم ليس يجري
 عليه من فعال غير عشرِ
 علومٍ بثها، ودعاء نَجَلِ
 وغرس النخل، والصدقات تجري
 وراثَةً مصحفٍ، ورباط ثغر
 وحفر البئر، أو إجراء نهرِ
 وبيتٌ للغريب بناه يأوي
 إليه، أو بناء محلٍ ذكر
 وتعليم لقرآن كريم
 فخذها من أحاديث بحصر

زيادة على كلام السيوطي: ورباط ثغر
شاهده: عن سلمان الفارسي رضي الله عنه: قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «رباط يوم
وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات
جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجرى
عليه رزقه، وأمن الفتان» [رواه مسلم]، أي
ينمو له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن من
فتنة القبر.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول
صلى الله عليه وسلم «أربعة تجري عليهم أجورهم بعد
الموت: من مات مرابطاً في سبيل الله،



ومن علّم علماً أجرى له عمله ما عمل به ،
ومن تصدق بصدقة فأجرها يجري له ما
وجدت ، ورجل ترك ولداً صالحاً فهو
يدعو له» . [رواه أحمد والطبراني] . انتهى .

والمسلم يواسي أخاه في مصيبته : قال
ابن القيم : الْمُوَاسَاةُ لِلْمُؤْمِنِ أَنْوَاعٌ : مواساة
بِالْمَالِ ، ومواساة الجاه ، ومواساة بِالْبَدَنِ
وَالْخِدْمَةِ ، ومواساة بِالنَّصِيحَةِ وَالْإِرْشَادِ ،
ومواساة بِالذُّعَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ لَهُمْ ،
ومواساة بالتوجع لَهُمْ ، على قدر الْإِيمَانِ
تكون هَذِهِ الْمُوَاسَاةُ ، فكلما ضعف

الإيمان ضعفت المَوَاساة ، وكلما قوي
 قويت ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - أعظم الناس
 مواساة لأَصْحَابِهِ بِذَلِكَ كُلِّهِ ، فَلَاتَّبَاعَهُ مِنْ
 الْمَوَاسَاةِ بِحَسَبِ اتِّبَاعِهِمْ لَهُ .

[الفوائد ، ص : (٢٢٢)] .

ما يعزى به أهل الميت : قال ابن
 الجزري رحمه الله : فَإِذَا عَزَى أَحَدًا ، يَسْلَمُ
 وَيَقُولُ : «إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ ، وَلَهُ مَا أُعْطِيَ ،
 وَكُلُّهُ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى ، فَلْتَصْبِرْ ،
 وَلْتَحْتَسِبْ» . [رواه البخاري واللفظ له ومسلم] ،
 [الحصن الحصين ، ص : (٢٨٥)] .



وذكر القاسمي في تفسيره (ص: ٣٨٨١)
 لقوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ
 وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا
 يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧] ، أن هناك: من قال
 لابن عباس رضي الله عنه ، عند التعزية بأبيه العباس:
 اصبر نكن بك صابرين فإنما
 صبر الرعية عند صبر الرأس
 خير من العباس أجرك بعده
 والله خير منك للعباس
 قال ابن عباس: ما عزاني أحد أحسن
 من تعزيته .

قال الشيخ حسن أيوب رحمته الله: التعزية معناها التصبير على المصيبة سواء أكانت المصيبة بموت أو فقد مال، أو ثمر أو غيرها، ويكون التصبير والتسلية والتعزية بذكر آيات الله وأحاديث رسوله، وحكايات الصالحين، وأقوال الحكماء مما من شأنه أن يهون المصيبة على المصاب، ويرضيه بقضاء الله وقدره، فهي داخلة تحت التعاون على البر والتقوى، وتحت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي حديث: «والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه»، وحديث:



«من فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة» .
[السلوك الاجتماعي في الإسلام ص: (٣٦٦)] .

✽ دعاء للميت: اللهم إن فلان بن فلان في ذمتك وحبل جوارك ، فقه من فتنة القبر وعذاب النار ، وأنت أهل الوفاء والحق ، اللهم اغفر له وارحمه ، فإنك أنت الغفور الرحيم .
[رواه أحمد وأبو داود] .

اللهم إنه عبدك وابن عبدك وابن أمتك كان يشهد أن لا إله إلا أنت ، وأن محمداً عبدك ورسولك ، وأنت أعلم به ،

اللهم إن كان محسناً فزد في إحسانه ، وإن كان مسيئاً فتجاوز عن سيئاته . [رواه مالك] .

أبدله داراً خيراً من داره ، وأهلاً خيراً من أهله ، وزوجاً خيراً من زوجه ، وقِه فتنة القبر وعذاب النار . [رواه مسلم] .

وارحمه برحمتك يا أرحم الراحمين
وأسكنه الفردوس الأعلى يا كريم اللهم
آمين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب
العالمين .





فَهْرَسْتِ

- المقدمة..... ٣
- إنا كل شيء خلقناه بقدر ٧
- التسليم بقضاء الله وقدره ١٠
- المقامات الأربع لمن يصاب بمصيبة ١١
- لا بد من الابتلاء ١٣
- كلمة الاسترجاع ١٤
- أصول كلمة: إنا لله وإنا إليه راجعون ١٦
- معنى لا حول ولا قوة إلا بالله ٢١
- ماجزاء المسترجعين؟ ٢٢

- كل نفس ذائقة الموت ٢٤
- موسى عليه السلام وملك الموت ٢٥
- مصيبة موت النبي صلى الله عليه وسلم ٢٩
- هديه صلى الله عليه وسلم في الحزن ٣٢
- المرأة والعالم ٣٥
- لن تموت نفس حتى تستكمل أجلها
- وتستوفي رزقها ٣٧
- فرغ خاطرك لما أمرت به ٤١
- موعظة شعرية ٤٥
- القبر أول منازل الآخرة ٤٨
- ضغطة القبر ٥٠



- القبر آخر فتنة تمر على العبد ٥١
- مايعين العبد على الصبر والاحتساب ٥٤
- مايجري على العبد بعد موته ٦٣
- مواساة المسلم لأخيه وتعزيته له ٦٩

